تاريخ الفلسفة
ديفيد هيوم 46
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

نتناول بعد ظهر اليوم ثالث أعظم الفلاسفة التجريبيين الإنجليز، وهم لوك، وبيركلي، والآن هيوم .قلتُ .الفلاسفة التجريبيين الإنجليز، وكان الأصح أن أقول الفلاسفة التجريبيين البريطانيين

هو رجل اسكتلندي .وقد جاء هيوم، كما هو الحال، بعد 50 عامًا فقط من جون لوك .في عام 1690، نشر .جون لوك مقالته عن الفهم البشري

وفي عام 1748، طرح هيوم بحثه حول الفهم البشري .وهكذا، في أقل من خمسين عامًا، حدث تحولٌ ملحوظ .من تفاؤل جون لوك، الذي يكاد يكون تفاؤلًا عقلانيًا، بشأن إمكانيات المعرفة التجريبية، إلى شكوك .ديفيد هيوم حيالها

في الواقع، قبل عام 1748، أي قبل تسع سنوات، عندما كان في العشرينيات من عمره فقط، كما ترى، ولد عام 1711، صدرت المعاهدات عام 1739 .أعتقد أنه تم الانتهاء منها بالفعل عام 1736 .في تلك السن .المبكرة، أكمل الرسائل المتعلقة بالطبيعة البشرية، وهي أطول بكثير من البحث

هناك طبعة عامة، كما تعلم، تلك المجلدات الزرقاء الصغيرة، مجلدان منها .كنتُ أنوي إحضار طبعتي ، لكنني اكتشفتُ أن أحد المجلدات التي أعرتها لشخص ما لم يُعدها .لذا كنتُ أنوي إحضار الطبعة ذات المجلد .الواحد، وهي الطبعة الأكاديمية المعتمدة، واكتشفتُ أنني أعرتها لشخص ما ولم تُعد

لذا، إذا كنتم تعرفون أي شخص يملك كتابًا لهيوم يحمل اسمي في مقدمته، فتواصلوا معه واستردوه .لقد ،أعرتُ نسخًا منه العام الماضي خلال ندوةٍ عن هيوم .على أي حال، الكتاب الأقدم، وهو كتاب المعاهدات .أطول

،يعلق هيوم قائلاً إن كتابه لم يُكتب له النجاح في المطبعة .ولذا، يبدو أنه كتب البحث في صيغة مختصرة ،مُضيفاً إليه بعض اللمسات الأدبية، سعياً وراء الشهرة الأدبية التي اعترف بأنه كان يتوق إليها بشدة .لذلك .فإن الرسائل أطول وأكثر تفصيلاً، وسأستند في حديثي عن هيوم إلى الرسائل بالإضافة إلى البحث

إن عدد المواضيع التي أغفلها في بحثه، كما سنرى، يركز فيها على معرفتنا بالأشياء الخارجية، وتحديدًا على معرفتنا بعلاقات السبب والنتيجة .ويتطرق قليلًا إلى معرفتنا بالله، لكنه في كتاباته يتناول معرفة علاقات السبب والنتيجة، ومعرفة المكان، ومعرفة الزمان، ومعرفة المادة، ومعرفة العقول، ويناقش المواضيع ،الميتافيزيقية بتوسع أكبر، والتي لاحظنا أهميتها عند كل من لوك وبيركلي .وفي كلا العملين، كتاباته وبحثه .ينصب تركيزه بوضوح على نظرية المعرفة

هذا هو الشغل الشاغل لعصر التنوير .يمكنك أن تلمسه في عناوين الأعمال .جون لوك، مقال في الفهم .البشري

جورج بيركلي، مبادئ المعرفة الطبيعية .ديفيد هيوم، بحث في الفهم البشري .استرجعها، مقال عن الفهم .البشري

.ورد لايبنتز على ...لا، دعنا نرى، لوك عبارة عن مقال .هذا صحيح .هيوم هو البحث

وفي معرض رده على لوك، قد تتذكر أن لايبنتز كان قد كتب "مقالات جديدة في الفهم البشري ."لذا، في تلك الفترة، كان هذا هو محور الاهتمام .ما هي إمكانيات المعرفة البشرية؟ ما مدى تأثيرها في عصر العقل، الذي هو، بطبيعة الحال، عصر العقل العلمي؟ بعبارة أخرى، ما هو نطاق المعرفة العلمية؟ حول هذا الأمر تحديدًا .أصبح هيوم متشككًا للغاية

يرى الآن، في كتابه "معاهدات حول الطبيعة البشرية"، أن مفتاح حل الخلافات الفلسفية يكمن في دراسة الطبيعة البشرية .دراسة الطبيعة البشرية .ولهذا السبب، كما يقول، يحمل الكتاب عنوان "معاهدات حول ."الطبيعة البشرية

ويضيف عنواناً فرعياً يشير إلى أنه يتناول الطبيعة البشرية من خلال ما يسميه المنهج التجريبي .لم يكن لكلمة .تجريبي "آنذاك أي علاقة بالفرضيات والتأكيد، بل كانت تشير ببساطة إلى الاستناد إلى التجربة"

إذن، ما يحاول فعله هو تقديم وصف تجريبي للطبيعة البشرية فيما يتعلق بقضيتين، كما يقول :المعتقد .البشري والفعل البشري

وفي ضوء هذا التفسير، من المهم أنه لا يستخدم مصطلح "المعرفة البشرية ."لأن تركيزه الأساسي ينصب على .تقديم وصف نفسي للمعتقدات البشرية ، وعلاقتها بالطبيعة البشرية وتأثيرها على الأخلاق .بعبارة أخرى

إذا أردنا تفسير المعتقدات البشرية وفقًا لهيوم، فعلينا أن نتخلى عن التفسيرات العقلانية .فنحن نؤمن بما .يمكن إثباته، ونؤمن بما يتناسب مع الأدلة التجريبية الموضوعية

تذكر معيار جون لوك القائم على الأدلة .عليك أن تتجاوز ذلك إلى دراسة علم النفس البشري .فالطبيعة .البشرية تدفعنا إلى الاعتقاد

هناك تفسير نفسي للاعتقاد .وينطبق الأمر نفسه ليس فقط على الاعتقاد الأخلاقي، بل على الفعل الأخلاقي أيضاً .فنحن لا نندفع إلى الفعل الأخلاقي بقوة التفكير في المبادئ الأخلاقية، بل ببساطة بفعل سيكولوجية .المشاعر الإنسانية

المشاعر الأخلاقية التي تدفعنا إلى الفعل .لذا، في كلتا الحالتين، يقدم وصفًا نفسيًا أكثر منه برهانًا منطقيًا أو تبريرًا قائمًا على الأدلة .ويشكو من أن غموض الأفكار يضلل أشخاصًا مثل ديكارت، ولوك، وسبينوزا، وحتى .بيركلي

قد يبدو غريباً بعض الشيء الحديث عن غموض الأفكار في حين كان ديكارت ولوك يؤكدان على وضوحها وتميزها .لكن قصده ببساطة هو أن الأفكار ليست واضحة ومتميزة .وبهذا المعنى، يذكرني بصديق لي منذ فترة، كان يقول عندما يُقال عن فكرة ما" :إنها واضحة تماماً بالنسبة لي"، فيرد عليه" :معذرةً، لا أجدها ."كذلك

لأن معيار الوضوح والتمييز، في نهاية المطاف، نسبيٌّ بحتٌ لكيفية إدراك الشخص للفكرة .إنه يعتمد على .الشخص .ولا يرى هيوم أن الأفكار التي يعتبرها ديكارت ولوك واضحة ومميزة كذلك

ستلاحظ، عند الخوض في نظريته عن الأفكار، أن هيوم، بدلاً من الحديث عن الوضوح والتمييز، يتحدث عن .القوة والحيوية .القوة والحيوية .لاحظ أن هذه معايير وجدانية، وليست معايير معرفية

الأمر لا يتعلق بالتفكير بوضوح بقدر ما يتعلق بالشعور بقوة .وهذا ما يصبح مهماً .وهذا ما يوضحه في مقدمة المعاهدات.

لكن في القسم الأول من البحث ، يقدم شيئًا مشابهًا جدًا لذلك .وإذا كنتم قد قرأتم ذلك القسم، فربما لاحظتم، وآمل أن تكونوا قد لاحظتم، أنه كان يتحدث عن نوعين من الفلسفة، أحدهما غامض والآخر عملي .وما يدعو إليه في نهاية المطاف هو مزيج من الاثنين.

يكمن الحل الأمثل في مزيج من الاثنين .الفلسفة المعقدة هي ما انخرط فيه ديكارت وجون لوك .تكمن قيمتها في الحديث النظري عن الأفكار والمعرفة وما إلى ذلك، وتكمن قيمتها في الدقة المنطقية.

ينبع هذا من فضول فكري، لكنه لا يُرسي أساسًا للأخلاق، ولا لمعرفة العالم الخارجي، ولا لعلم اللاهوت الطبيعي .بمعنى آخر، فإنّ المناهج العقلانية والعقلانية عاجزة عن ترسيخ الأخلاق، أو المعرفة العلمية بالعالم الخارجي، أو الإيمان بالله، استنادًا إلى براهين عقلانية.

،إن الفلسفة المعقدة، بمثل هذا المطلب المنطقي، لا قيمة لها إلا في الرياضيات .في الرياضيات فقط .لذا .فمنذ البداية، في ذلك القسم التمهيدي، يعلن رفضه لروح التنوير، ومفهوم التنوير للمعرفة، وقاعدة العقل

وفي حديثه عن الفلسفة العملية، على النقيض من ذلك، يتحدث عما يوجه العمل .لماذا نحن آمن بما نؤمن .به .ولذا، يقول، متحدثاً عن مزيج من الاثنين، كن فيلسوفاً، ولكن ابقَ إنساناً

حسناً، وكذلك المرأة .بعبارة أخرى، إن الطبيعة البشرية، لا المطالب المصطنعة للعقل، هي ما يجب أن يميز ،الفلسفة حقاً، أي فهم الطبيعة البشرية .لذا، سواء بدأت بالمعاهدات أو بالبحث، كما هو الحال عند كوفمان .فإن البداية واحدة

يبدأ هيوم حديثه بإعلان ما ينوي فعله، وهو :التخلي عن مزاعم ديكارت ولوك بشأن العقل البشري، وتطوير سيكولوجية للمعتقد .حسناً، هل هذا واضح بما فيه الكفاية؟ بمجرد فهمك لهذا، أعتقد أنك ستدرك ما يرمي .إليه هيوم

للأسف، كثيراً ما يتحدث الناس عن هيوم، بل ويدرسونه، وكأنه لم يكتب سوى الأقسام الأربعة الأولى من كتابه "بحث في اللاهوت"، أي "قاعدة العقل ."وينسون ما يليها، القسم الخامس ، الذي يتناول ما يسميه .هيوم "الحل الشكّي "لهذه الشكوك .فهو متشكك في العقل نفسه

،كيف يُزيل الشك؟ بتطوير سيكولوجية الاعتقاد، التي تُبين أن الاعتقاد ليس دائمًا طوعيًا، كما قال ديكارت .وكما قال لوك .تذكر مواقفهم .إذا لم تكن هناك أدلة كافية، فامتنع عن الاعتقاد

.لا يجوز للإرادة أن تسبق العقل .وهذا ما يرد عليه هيوم في الواقع .قد لا تسبق الإرادة العقل، لكنك تفعل

لكنك تفعل ذلك .حتى لو لم تقدم أي دليل على وجود عالم خارجي .لاحظ كيف تتصرف في العالم المحيط .بك، كما لو كان حقيقياً تماماً

حسنًا، هذا أسلوبي في التقديم .الآن، يجب تقديم التطور الذي يخوض فيه هيوم في الحديث عن المعرفة .والمعتقد، كما هو متوقع في ضوء ديكارت ولوك، من خلال الحديث عن نظرية المُثُل

وأقترح هنا أن تنتبه جيدًا إلى مواضع اختلافه مع جون لوك .إذا كنت قد قرأت لوك قراءة متأنية، فستكون قد لاحظت الاختلافات .بل إن الاختلافات لا تقتصر على لوك فحسب، بل تشمل بيركلي أيضًا.

لنبدأ بلوك .لنبدأ بلوك .ستلاحظ أن لوك يبدأ بالحديث عن الأفكار.

بسيط ومعقد .حسناً .يسعد هيوم بالتحدث عن الأفكار، سواء كانت بسيطة أو معقدة.

يكمن الفرق في أن لوك يعتبر الأفكار البسيطة هي المدخل الأصلي للوعي، أفكار بسيطة واضحة ومميزة، بينما يرى هيوم أن المدخل الأصلي ليس الأفكار، بل الانطباعات .الانطباعات هي المحفزات الأصلية القوية والنابضة بالحياة.

ها هو ذا، ليس واضحاً ومميزاً، ولكنه قوي وحيوي .قوة وحيوية .قوي لدرجة أنه لا يُقاوم.

حيوية لدرجة أنها تأسرنا .قوية ونابضة بالحياة .الآن، قصده ببساطة هو أن الانطباع الناتج عن حالة عاطفية مؤثرة، عند ظهورها، يوقظ الوعي.

ومع انحسارها، تفسح المجال لفكرة .إذن، الفكرة هي الحالة الإدراكية التي تعقب الانطباع، والتي تزودك بنسخة منه .حسناً؟ نسخة من الانطباع.

لنأخذ مثالاً على ذلك، إذا رأيت وميضاً ساطعاً من الضوء يُبهرك .ما تشعر به في البداية ليس فكرة واضحة ومحددة عن الوميض الساطع، بل هو الألم، وقوة الضوء المبهرة.

وإذا صرختُ في وجهك فجأة ، فسيكون الأثر الأولي جسديًا، وليس مجرد تساؤل :هل أيقظتك؟ سيكون الأثر جسديًا لا فكريًا، بكل وضوح .لكن هذا يتجلى بوضوح في تلك الأحاسيس الجسدية المرتبطة بدرجة من الصدمة أو الألم أو ما شابه .لكن قصده هو ما يسميه وايتهيد لاحقًا بأولوية التأثير السببي في الإدراك.

إلا أن هيوم لا يُطلق عليها اسم الفعالية السببية .لكنها أولوية الجانب العاطفي، إن صح التعبير، على الجانب الإدراكي في التجربة الإنسانية .أجل.

أولوية الجانب العاطفي .ماذا يحدث لو كنت تقود سيارتك على الطريق السريع وفجأة لمع شيء أمامك؟ كما ترى، إنها ليست فكرة واضحة ومحددة، بل هي رد فعل لا إرادي، ويتسارع نبض القلب بشكل ملحوظ .

إذن، هو يمارس علم النفس الوصفي بهذا المعنى .واللافت للنظر هو أنه بينما يترك الانطباع لديك فكرة، فإن تلك الفكرة، حين تخطر على بالك، تعود إلى الذاكرة، متذكرةً الانطباع، وهذه الفكرة، المتذكرة، تترك بدورها انطباعها الخاص .وهذا الانطباع يترك فكرته.

إذن، ما يحدث هو هذا التداخل بين الانطباعات والأفكار .الإحساس الأولي، الشعور الأولي، يُولّد فكرة، وهي نسخة منه .ويرتبط هذا الانطباع برغبة أو كراهية، أو ما شابه ذلك.

لم يعجبك ذلك الرد العاطفي .الذاكرة، أو إن شئت، تخيّل شيء ما، تترك انطباعاً أيضاً .لذا لديك سلسلة كاملة من الانطباعات.

وكلمة "إحساس"، المرتبطة الآن بالانطباع الأولي أكثر من الفكرة، هي، نعم، ما تعنيه بالإحساس في اللغة الدارجة .عندما يدغدغك أحدهم، فتقول" :يا إلهي، إنه إحساس رائع ."لذا، ينصب التركيز على الجانب .الجسدي والعاطفي، وليس على الجانب المعرفي

حسنًا، هذا أحد الاختلافات الرئيسية عن جون لوك .ويستخدم هيوم كلمة "الإدراك "للإشارة إلى هذا .الموضوع برمته .الإدراك

الإدراكات ليست أفكاراً واضحة ومحددة، بل هي مجرد حالات وعي، حالات وعي تبدأ بانطباعات وتتضمن .أفكاراً

أما الانحراف الثاني عن لوك، فهو ليس تغييراً جذرياً، ولكنه، في رأيي، يُعدّ تقدماً عليه .يتحدث لوك عن ترابط الأفكار .ففي نهاية المطاف، إذا جمعنا أفكاراً بسيطة لتكوين أفكار معقدة، كما نفعل، فسوف يهتم بالعملية .النفسية التي تحدث من خلالها هذه العملية

كيف نكتسب أفكارًا عن الجواهر؟ أفكارًا عن العلاقات؟ أفكارًا عن أنماط الوجود؟ الأمر مشروط ، وإن كان ،ضروريًا .وهو يرى أن هناك ثلاثة مبادئ للترابط تُستخدم .أستطيع القول إنه في هذه المرحلة من التاريخ . بداية القرن الثامن عشر، كانت علم النفس الترابطي في أوج ازدهاره

.ما يفعله هيوم هنا يتماشى مع علم النفس الترابطي ، حيث يسعى إلى إيجاد مبادئ تحكم الروابط بين الأفكار ،وتتمثل هذه المبادئ الثلاثة في التشابه، والتجاور، والسبب، والنتيجة .لذا، يبدو أننا نميل إلى دمج الأفكار .وربطها ببعضها لتكوين أفكار أكثر تعقيدًا، عندما تتشابه الانطباعات والأفكار المتكررة

نجمعها معًا .وبهذه الطريقة تحديدًا تتكون لديّ فكرة عن مادة معينة .كيف أعرف أن هذا أحد أقلام .التحديد الجافة عديمة الغبار؟ حسنًا، الانطباعات التي أحصل عليها منه هي مظهره ورائحته النفاذة

كان عليّ أن أستخدم كلمة "مُنفر "لأحصل على المصطلح المناسب .الرائحة الكريهة، كما ترى، تتكرر .الشيء .نفسه يتكرر

ما أتذكره من المرة السابقة، استوعبته مجدداً .وهذا التشابه يرسخ فكرة وجود مادة ذات هوية ثابتة .لذا يبدو .الأمر كما لو أن عادة ذهنية تتشكل من خلال التفكير في هذه العلامة

.بهذه الطريقة .فكرة الجوهر .والتجاور كذلك

.إذا كانت الأشياء متجاورة، فإننا نميل إلى ربطها ببعضها البعض .متجاورة مكانيًا .متجاورة زمنيًا

وهكذا نكتسب أفكارًا عن العلاقات المكانية والزمانية، أي عن موقع في المكان وموقع في الزمان .لاحظ الآن أن . هذه مواقع محددة

تمامًا كما أن القلم مادة معينة .لأن الأفكار المعقدة التي أتلقاها ليست أفكارًا عن مفاهيم مجردة عامة، بل هي .أفكار عن تفاصيل محددة

،ليست أفكارًا عامة مجردة، بل أفكارًا تتعلق بتفاصيل محددة .وإذا ما خطرت لي أفكارٌ عن مؤشرات عامة ،فذلك يعود إلى التشابه .أما فيما يخص علاقة السبب والنتيجة، فإن مبدأ السبب والنتيجة هو مبدأ ارتباط .وهنا تكمن الصعوبة

هذه هي المشكلة التي يشير إليها في القسم الرابع من البحث .إذ يتضح أنه عند محاولة وصف ما نسميه علاقات السبب والنتيجة تجريبياً، فإن كل ما يمكننا ملاحظته هو اقترانات ثابتة، وارتباطات منتظمة .لكننا لا نلاحظ أبداً القوة المؤثرة، أو القدرة السببية، أو ما يسميه بالروابط السببية.

،لذا فإنّ انتظام الطبيعة هو تعميم تجريبي .أما القول بأنّ)أ (يجب أن يُسبّب)ب(، أي أنّه سبب ضروري له فهو أمر غير معروف تجريبياً .لذلك، من بين هذه المبادئ الثلاثة للترابط، ورغم أنّها جميعاً صحيحة، فإنّ الاستدلال من المبدأ الثالث إلى أيّ روابط ضرورية يكون غير صحيح.

،على الرغم من أننا نصل إلى هذا الاعتقاد نفسيًا .وهذا هو المفتاح لفهم كيفية وصولنا إلى معتقدات معينة كالإيمان بالأشياء المادية، والأشياء الخارجية، والإيمان بالله، وما إلى ذلك .لأننا نصل إلى الإيمان بعلاقات السبب والنتيجة التي لا يوجد لها دليل تجريبي، ولا حتى معرفة مسبقة.

،لذا ضع ذلك في اعتبارك أيضًا، أي ترابط الأفكار .وهذا يقوده الآن إلى يحتل المرتبة الثالثة فيما يتعلق بلوك .مما يدفعه إلى تجاوز لوك خطوةً أخرى وصياغة ما أصبح يُعرف منذ ذلك الحين بالمعيار التجريبي للمعنى معيار تجريبي للمعنى.

هو الآن لا يتحدث عن معيار الحقيقة، ولا عن الاعتقاد المبرر، بل يتحدث ببساطة عن اللغة، وعن معاني الكلمات، كما ترى.

وإذا كنا نتحدث عن المعنى الواقعي، أي الإشارة إلى شيء ما ، أو الإشارة إلى شيء محدد، أو تسمية شيء ما، أو ،وصف شيء ما، فإن معيار المعنى بالنسبة للباحث التجريبي هو أن اللغة يجب أن تشير إلى شيء أصلي، لا ،ليس أفكارًا أصلية من النوع التجريبي، بل انطباعات أصلية من النوع التجريبي .لذا انظر إلى الصفحة 100، لا .بل الصفحة 291 في كتاب كوفمان .الصفحة 291، وهي في نهاية القسم الثاني من البحث

.في الواقع، الجملتان الأخيرتان هما من القسم الثاني من التحقيق .ولاحظ ما يقوله .الجمل الثلاث الأخيرة

جميع الانطباعات، أي جميع الأحاسيس، سواء كانت خارجية أو داخلية .أحاسيس خارجية، أحاسيس داخلية .يتحدث عن الحس الخارجي والحس الداخلي.

.جميع الانطباعات، جميع الأحاسيس .داخلية أو خارجية .قوية ونابضة بالحياة

تُحدَّد الحدود بينهما بدقة أكبر، وليس من السهل الوقوع في أي خطأ في فهمها .لذا، عندما يساورنا أي شك في استخدام مصطلح فلسفي دون معنى أو فكرة، كما هو شائع جدًا، يكفينا أن نتساءل عن الانطباع الذي استُمدّت منه تلك الفكرة المفترضة.

،وإذا تعذّر تحديد أي انطباع، فسيؤكد ذلك شكوكنا .من خلال تسليط الضوء على الأفكار بهذه الوضوح يُمكننا أن نأمل بشكل معقول في إزالة أي خلاف قد ينشأ حول طبيعتها وحقيقتها .هل لأفكارك أي أساس؟ هل تستند إلى التجربة أم لا؟ لذا، ما تحاول فعله هو أخذ فكرة معقدة، وتحليلها إلى أفكار بسيطة ، ثم السؤال عن الانطباعات الأصلية التي انبثقت منها هذه الأفكار البسيطة .

وهذا هو المعيار الحاسم .إنه المعيار التجريبي للمعنى الذي يستخدمه بفعالية كبيرة .فعندما يتحدث عن فكرة الصلة الضرورية، لا يوجد انطباع أصلي بهذه الصلة، وبالتالي فإن الفكرة لا معنى لها.

عندما يتحدث عن المعجزة، فإنه يفترض أن فكرة المعجزة شيء لا يرتبط بأي انطباع أصلي، وبالتالي يستحيل ،التحقق منه .فكرة أي شيء مجرد، أفكار مجردة، كليات حقيقية، في نفس الموقف مرة أخرى .وهذا ينطبق .كما اتضح، حتى على مفهوم العقل كجوهر، ككيان

أتذكرون حديثنا عن الروح في المرة الماضية؟ لأننا ننظر إلى الأمر من زاوية معينة، فلدينا انطباعات عن حالاتنا الذهنية، عن رغباتنا وآمالنا ومشاعرنا، ولكن أين انطباع جوهر العقل، جوهر الروح؟ إنه لا يترك أي .انطباعات .لذا، لا توجد نقطة مرجعية تجريبية عند الحديث بهذه الطريقة

قد تتساءل الآن :لماذا لم يلحظ بيركلي ذلك؟ أو لوك؟ وإن كان ذلك مهمًا، فديكارت؟ حسنًا، بدأ ديكارت .بالقول :لا، ليس لدينا فكرة مباشرة وواضحة ومحددة عن العقل، لكن لدينا تصورًا .تصورًا .تصورًا بأنه موجود

لذا، عندما يستعرض ديكارت فلسفته "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، أي فكرة التفكير، فإن تصوره هو ذلك ،الأنا "المستمرة التي هي الفاعل المفكر، وهو ما يُدركه في لحظة تفكيره حين يقول" :أنا أفكر، إذن أنا موجود" .أنا أُدرك نفسي ."ويتبع لوك وبيركلي هذا النهج الفكري، لكن ليس هيوم .ليس هيوم

ما هو الأنا ؟ إن لم يكن هو الجوهر، فما هو إذن تجريبياً؟ وهذا يقودنا إلى مسألة الهوية الشخصية، وفي كتابه "رسالة في اللاهوت"، خصص فصلاً كاملاً لمفهوم جوهر العقل، وفصلاً آخر لمفهوم الهوية الشخصية .وإذا لم يكن لدينا أساس لتأكيد وجود جوهر العقل، فلا بد من التطرق إلى مسألة الهوية .الشخصية

ماذا نعرف عن الهوية الشخصية؟ يقول إن كل ما نعرفه عنها مستمد من الذاكرة .ابحث في نفسك .إذا كنت تبحث عن أساس تجريبي للحديث عن "الأنا"، فما هي "الأنا"؟ ما هي "أنا "بالنسبة لك تجريبياً؟ من الواضح .أنها ليست الجسد بحد ذاته

لأنك ما زلت أنت، حتى لو قمت بتقليم أظافر يديك وقدميك وقص شعرك .فقدان هذا القدر من كتلة .الجسم لا يؤثر عليك .والآن نعلم أنك تستطيع التعايش مع عمليات الزرع، حتى عمليات زرع القلب

.ويكتب الناس روايات خيال علمي فلسفية حول ما إذا كنت ستبقى أنت نفسك لو خضعت لعملية زرع دماغ أترى ؟ نعم، هناك أنواع كثيرة من الأعمال الأدبية الرائعة التي تدور حول هذا الموضوع .لكن فيما يتعلق بالفكاهة، فإن الجسد غير ذي صلة لأن الجسد هو "هو"، وليس "أنا ."وتشعر بذلك إذا رأيت نفسك في .صورة، أو في فيديو

ليست هذه هي الذات التي أعرفها .يمكنني أن أجسدها .لا، الذات التي أعرفها هي الذات الداخلية التي أعرفها .من خلال ما يسمونه التأمل

أترى ؟ "الأنا "التي كانت تمثل التفكير في مثل هذه المناسبة .أما الشعور، فكان في مناسبة أخرى .والكلام، كان .في مناسبة أخرى

الذات التي عشتها في داخلي .أترى ؟ وهكذا، فإن الهوية الشخصية عند هيوم تتجسد في هذا السيل المتدفق من الأفكار والانطباعات .أحاسيس وتأملات أتتبعها في ذاكرتي، عائدةً إلى جذورها عبر تيارات معقدة من .الأفكار والانطباعات التي كانت تخصني

أترى ؟ يقول في التحليل النهائي إن الذات أشبه بمسرح تظهر فيه الأفكار وتختفي، واحدة تلو الأخرى، عابرة .كما تأتي وتذهب .هذا كل ما في الأمر فيما يتعلق بالهوية

ثم يضيف جملة أخرى للتوضيح .لا تدع هذا يُسيء فهمك .إنّ "أنا "هنا عبارة عن سيل من الأفكار، وليست المسرح الذي تُعرض عليه.

ليس بناء المسرح هو المهم، بل المظاهر فقط .لذا، عندما يتعلق الأمر بطبيعة الذات، فهو ببساطة ظاهراتي .لا واقعي .ظاهراتي فحسب

لا يسعنا إلا الحديث عن كيفية ظهور الذات، لا عن ماهيتها .حسنًا، أعتقد أن هذا، الذي يطوره في نهاية الكتاب الثاني من الرسالة، ربما يكون أحد أوضح الأمثلة على كيفية عمل هذا المعيار التجريبي للمعنى .ما الذي يمكننا الاستناد إليه تجريبيًا عند الحديث عن الذات ؟ كما تعلمون على الأرجح، فإن هذا المعيار التجريبي للمعنى هو الذي تبناه وحدثه التجريبيون المنطقيون في القرن العشرين.

وسنواجه هذا الأمر مجدداً عندما نصل إلى إيه جيه آير وكتابه "اللغة، الحقيقة، والمنطق"، الذي سنقرأه في الربيع .يا ليتنا نكون مع آير عندما يحلّ أبريل !سيكون ذلك الوقت الذي سيقول فيه بعضنا :يا ليتنا نكون في إنجلترا الآن وقد حلّ أبريل، لكنّنا سنكون مع إيه جيه آير بدلاً من ذلك.

،وهو، في نهاية المطاف، إنجليزي .حسنًا، هل لديك أي تعليقات حول لوك وكيف ينطلق، أتراجع عن كلامي هيوم وكيف يتجاوز لوك؟ حسنًا .حسنًا، الآن، بالحديث عن نظريته في المُثُل، كيف يُقارن ببيركلي؟ كيف يُقارن ببيركلي؟ حسنًا، أعتقد أن الملاحظة الأولى واضحة، وهي أنه يتفق مع مذهب بيركلي الاسمي.

هو يتفق مع مذهب بيركلي الاسمي .هذا واضح، أليس كذلك؟ إذا كنا سنكون تجريبيين بحتين، نرجع كل شيء إلى الانطباعات، فلن تكون هناك انطباعات تجريبية عن كيانات مجردة أو أفكار مجردة .جميع أفكارنا تتعلق بصفات محددة تُرى أو تُحس.

.ولا تصبح الكلمات أسماءً عامة إلا بالاستخدام العرفي الذي يستخدمها دون تمييز بين تفاصيل متشابهة فنحن نربط التفاصيل بحكم أوجه التشابه بينها، ونستخدم كلمة واحدة للإشارة إليها جميعًا .لكننا لا نستخلص أبدًا أي مفهوم لجوهر كوني.

إذن، فهو يتفق مع بيركلي في هذا الشأن .ويتجلى موقف هيوم هذا تجاه الأفكار المجردة في مناقشته للمكان والزمان، والتي ترد في الجزء الثاني من الرسالة .وليس في البحث نفسه.

يؤكد أنه ليس لدينا فكرة تجريبية، لعدم وجود انطباع نهائي، عن الفضاء اللانهائي أو الزمن اللانهائي .وعندما يتحدث بعض فلاسفة ما قبل سقراط عن قابلية جسيمات المادة للانقسام اللانهائي، وما إلى ذلك، فإذا لم يكن لدينا مفهوم عن اللانهاية، فلن نستطيع التفكير بفكرة واضحة عن قابلية المادة للانقسام اللانهائي. وبالتالي، فإن تلك المفاهيم المرتبطة بالنقاش التقليدي غير واردة.

كل ما يمكننا التفكير فيه هو علاقات مكانية وزمانية محدودة، لا غير .لا وجود لمفهوم مجرد للمكان، ولا لمفهوم مجرد للزمان، ولا لمفهوم مجرد للمادة .إنما الأفكار المعقدة عن مواد معينة هي مجموعة من الأفكار البسيطة.

هذا كل شيء .لا فكرة عن الوجود، فقط تفاصيل نعتقد، كما نقول، أنها موجودة .لكن ليس لديك تصور عن الوجود، ولا انطباعات عنه.

تتكون لديك انطباعات لها خصائصها الخاصة .الوجود ليس صفة من صفات الفكرة .وسيكون لهذا الأمر أهمية بالغة عندما نصل إلى إيمانويل كانط، الذي يتحدث عن الحجة الأنطولوجية، أي فكرة الكائن الكامل .الذي يجب أن يوجد بالضرورة

.حسناً، إذا لم يكن الوجود مفهوماً، فلا يمكنك إسناده إلى أي شيء .إنه ليس إسناداً صحيحاً، كما يقول كانط .وبالتالي، لا يوجد دليل في البرهان الأنطولوجي

لذا، بمجرد تجاوزك لتلك المقدمة لنظرية هيوم المعدلة للأفكار، ستتضح لك وجهة نظره .وأعتقد أن ما تبقى يبدو وكأنه مجرد استكمال لما سبق .على الأقل ما تبقى مما يتناوله حول المعرفة والمعتقدات والمواضيع .الميتافيزيقية واللاهوتية

لاحظ أن سؤاله الأساسي ليس :هل يمكنك إثبات كذا وكذا؟ بل :ما الذي تتحدث عنه من الناحية التجريبية؟ السؤال الأساسي يتعلق بالمعنى، المعنى التجريبي، وليس الحقيقة .ما لم تعرف ما المقصود تجريبياً، كيف .يمكنك التحقق من صحة عبارة ما؟ حسناً، اسأل وعلق

أجل .يبدو لي أن المعيار التجريبي للمعنى يقود بشكل طبيعي إلى الاسمية بالنسبة لمن هو تجريبي، لأنه حينها لا يمكن اعتبار الكلمات أفكارًا في حد ذاتها .هل فهمت؟ هل سمعت هذا السؤال يا جون؟ يبدو أن المعيار .التجريبي للمعنى يقود بشكل طبيعي، أعتقد أنك تقصد منطقيًا، إلى الاسمية

نعم، طالما أنك تتبنى وجهة نظر تجريبية .نعم، أعتقد أنك محق تمامًا .سؤالي إذًا هو، أو بالأحرى، متى ظهرت فكرة أن الكلمات أفكار؟ ألم تظهر هذه الفكرة إلا بعد أن طعن فيها فيتغنشتاين؟ متى أصبح من المسلّم به أن الكلمات أفكار؟ أو أنها تمثل شيئًا آخر؟

.نعم، يُمثل شيئًا آخر .حسنًا، أعتقد أن فيتغنشتاين أيضًا اسمي، بمعنى أنه يرفض الأفكار المجردة

جون لوك، بالطبع، تجريبي وليس اسميًا .وربما يكون سؤالك هو ما إذا كان هناك تجريبيون آخرون، لا، بل ما .إذا كان هناك تجريبيون آخرون بالإضافة إلى لوك ليسوا اسميين .هل فهمت؟ ربما تقصد هذا

هل أخطأ لوك بشأن التوافق المنطقي بين التجريبية والمفاهيمية؟ هل يجب أن يكون التجريبي اسميًا ،بالضرورة؟ هل هذا شرطٌ لا مفر منه؟ حسنًا، نعم، أعتقد أنه كذلك مع المعيار التجريبي للمعنى .أتساءل متى تم التشكيك في هذا المعيار التجريبي للمعنى أخيرًا ليفتح آفاقًا منطقية أوسع للتجريبية؟ لقد تم التشكيك ،فيه في الأربعينيات، أو إلى حد ما في تلك الفترة، لكنه لم يُشكك فيه إلا في الخمسينيات .وبحلول الستينيات . أصبح متجاوزًا تمامًا

لكن التحدي الذي واجهته لم يكن من وجهة نظر أصحاب النزعة المفاهيمية، على عكس أولئك الذين زعموا ،أن التجريبي الذي يتبنى معيارًا تجريبيًا للمعنى لا يتبنى المنهج التجريبي الكافي في تناوله لتنوع اللغة .وهذا .بطريقة ما، كان جوهر فكرة فيتغنشتاين

كان يقول إن اللغة تلعب أدوارًا أخرى غير مجرد التسمية والإشارة والدلالة والإحالة .ويكمن في ذلك إدراك أن .اللغة لا تقتصر على الكلمات المنفصلة، ولا على أي من التراكيب النحوية

.لكن اللغة وظيفة اجتماعية .نشاط ثقافي .وسيلة نقوم بها في الثقافة بأنواع مختلفة من الأشياء

.في ثقافة اللغة، كما ترى .لذا فإن التبسيط المفرط هناك .لذلك أعتقد أن هذا النقد في محله

كان هناك نقد آخر أراه وثيق الصلة بالموضوع .فقد صاغ الوضعيون المنطقيون المعيار على النحو التالي :أي عبارة واقعية، لكي يكون لها معنى تجريبي، يجب، من حيث المبدأ، أن تكون قابلة للتحقق التجريبي على الأقل .الآن، هل هذه عبارة واقعية؟ وإذا كانت كذلك، فهل هي قابلة للتحقق التجريبي؟ كما تعلمون، يتضح .أنها ليست عبارة واقعية قابلة للتحقق التجريبي

ولذا اضطر الوضعيون إلى التراجع والقول :لا، هذا شرط منهجي من جانبنا .وبذلك، يكونون قد غيّروا موقفهم تمامًا، وقالوا إننا سنتعامل كما لو أن المرجعية التجريبية هي النوع الوحيد للمعنى .كلا، أعتقد أن موقف لوك .قابل للدفاع عنه إذا أدركنا أن حاملي الأفكار المجردة ليسوا صورًا ذهنية

يبدو أن لوك يعتقد، من خلال مفهومه عن الفكرة الواضحة والمميزة، أن ما نحمله في أذهاننا هو صور ذهنية لشيء ما .صورة زرقة قميصك، أو أي شيء آخر .كلا، عندما يتعلق الأمر بالتفكير المجرد، فإننا لا نتخيل .صفات محددة

. نحن نفكر لفظياً .والكلمات هي وسيلة التفكير غير التجريبي .التفكير المجرد

لذا، إذا أردت استخدام هذه العبارة، فإن إحدى ألعاب اللغة هي التفكير المجرد .وهو ما يظهر جلياً في طريقة .عمل الرياضيات، أو في طريقة عمل القاموس

.مع أن هذا النوع من التفكير المجرد، حيث لا تكون العبارات حقائق بل تحليلية، ليس النوع الوحيد، في رأيي أعتقد أن الشعر نوع آخر من التفكير المجرد، حيث تستحضر كلمات الشاعر أفكارًا عامة شاملة دون تصوير .التفاصيل

.أحيانًا، من خلال تصوير شيء معين، وأحيانًا أخرى بمجرد الكلمة نفسها، تكتسب دلالة رمزية .الرمزية .حسنًا، من الواضح أن هذا سؤال جوهري

وعندما ظهر هذا الموضوع في القرن العشرين، وسنتحدث عنه لاحقًا، كان من بين القضايا الحاسمة المطروحة :ما تأثيره على اللغة الأخلاقية، وما تأثيره على اللغة الدينية؟ وكانت هاتان القضيتان هما .المحوريتان في خمسينيات القرن الماضي .حسنًا

لننتقل الآن إلى المرحلة التالية من التطور، والمتعلقة بالمعرفة والاعتقاد .وهنا، دعونا نتذكر ببساطة أن .المعرفة تتكون من قضايا .قضايا تؤكد شيئًا ما عن العلاقة بين الأفكار

للمقولة موضوع ومحمول .وهي تتضمن على الأقل هذين المصطلحين، أي فكرتين .ولذا، هناك نوعان من .المقولات، كما يقول هيوم

هناك نوعان معروفان منذ ذلك الحين، وهما التحليلي والتركيبي .تتعلق القضايا التحليلية ببساطة بالعلاقة .المنطقية بين الأفكار

وإذا كانت هذه القضايا صحيحة، فإنها تُسمى حقائق منطقية .حقائق منطقية .أما التركيبي فيتعلق بوقائع .حقيقية

،لذا تُسمى هذه حقائق واقعية، إذا كانت صحيحة .أما العلاقات المنطقية بين الأفكار فتتعلق بالأفكار نفسها .لا بما تُمثله .فإذا قلنا، على سبيل المثال، إن العازب هو رجل غير متزوج

نحن نتحدث عن كلمة "عازب "ومعناها، أي ذكر غير متزوج .نحن نتحدث عن اللغة .ومعاني هذه المصطلحات متطابقة منطقياً.

إذن، أنت ببساطة تحلل العلاقة المنطقية بين المصطلحين .وينطبق الأمر نفسه على أي تعريف .وأوضح مثال على ذلك هو الرياضيات.

عبارة "٣ +٥ =٨ "تتحدث عن العلاقة المنطقية بين الأعداد ٣ و٥ و٨ .إذن، نحن هنا نتحدث ببساطة عن اللغة المستخدمة، أو إن شئت، عن الأفكار .لا ندّعي الحديث عن أي شيء آخر غير الانطباعات.

لا ندّعي الحديث عن أي شيء خارجي .سواء وُجد عزاب متبقون في هذه الغرفة أم لا، فالحقيقة أن جميع العزاب هم رجال غير متزوجين .من جهة أخرى، بالطبع، إذا قلتَ" :العزاب تعساء"، فسيكون ذلك قولاً صحيحاً.

الآن، لا يُخصص هيوم سوى القليل جدًا من الوقت لعلاقات الأفكار .ويتضح ذلك جليًا في الرياضيات .ولا يريد أن يقول أكثر من ذلك سوى أن الفلسفة المجردة والتفكير المجرد لهما قيمتهما.

وهو تمرين ذهني وتدريبي مفيد لنا نحن غير المتخصصين في الرياضيات .لكن اهتمامه ينصب على العبارات الواقعية التي يكون فيها عكسها ممكناً منطقياً .فليس من الممكن منطقياً أن يكون هناك أعزب متزوج.

من الممكن منطقياً أن يكون هناك شخص أعزب غير تعيس .لذا، فإن عكس العبارة الواقعية ممكن منطقياً. هذه العبارات قابلة للتفنيد.

إذن، السؤال الأهم، والذي يبرز فيه المعيار التجريبي للمعنى، يتعلق في جوهره بمعرفة الحقائق .وهذا ما سيُشكك فيه .ويتضح هذا المنطق في القسم الرابع الحاسم من البحث.

هذا هو القسم الرابع الحاسم .وأرى أن الساعة بطيئة .لقد نفد الوقت، لذا لا تنتظروا طويلاً.

لكننا سنتناول هذا الجزء المهم في المرة القادمة.